شهريات

بقلم رئيس التحرير

المؤتمر ـ المنعطف

سجّل المؤتمر الحادي عشر للادباء العرب الذي عقد في طرابلس من ٢٤ الى ٣٠ تشرين الاول ١٩٧٧ بدعوة من اتحاد الادباء والكتاب بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ـ سجّل عددا من الايجابيات تجعل منه بحق « المؤتمر ـ المنعطف » في تاريخ مؤتمرات الادباء العرب .

وقد كان مقدرا لهذا المؤتمر ان يحدث تغييرا جذريا في بنية اتحاد الادباء العرب كانت تدعو اليه وتعمل له بعض اتحادات الادباء العربية ، ولا سيما اتحاد الكتاب اللبنانيين في عهده الماضي ، ولكن مناورات الامين العام للادباء العرب ، ومحاولة تزويره الانتخابات الاخيرة ، واغضاء بعض الوفود عن هذه العملية ، وتذبذب وفود اخرى في مواقفها ، كل ذلك حال دون حدوث ذلك التغيير الجذري المنتظر .

على أن اهم ما سجّله المؤتمر الحادي عشر هو البدء بعملية التغيير التي كانت تتعثّر دائما في الماضي . وقد تمّ ذلك بتعديل النظام الاساسي تعديلا يحدّد مدة الامين العام بسنتين ، بينما كانت في نصّه السابق مطلقة ، ويجعل المقر العام للاتحاد القاهرة او سواها من العواصم العربية ، بينما كان النص السابق يحصرها بالعاصمة المصرية .

ولا شك في ان صلابة مواقف الوفود المغربية والفلسطينية والجزائرية بصورة خاصة ، ورفض الامين العام لاتحاد الادباء والكتاب الليبيين الاستاذ خليفة التليسي لكل الوان المناورات والمؤامرات والتسويات ، هما اللذان ادّيا الى نجاح المؤتمر على هذا الصعيد . ونحن نعتقد أن الطريق قد اصبح الآن مفتوحا لاجراء تغييرات وتعديلات اخرى تنفض عن الاتحاد العام للادباء العرب غبار التسلّط والروتين والجمود .

اما الايجابيات الاخرى لهذا المؤتمر ، فتتلخص بالتالي :

١ ـ وجّه اتحاد الادباء والكتاب الليبيين كثيرا من الدعوات الخاصة الى عدد من الشعراء والقصاصين والنقاد الذين يمثلون الادب العربي الحديث ، في ابداعه وطموحه ، خيرا مما يمثّله اعضاء الوفود « الرسمية » . ومضاعفة الدعوات الخاصة على هذا النحو تقليد جديد نأمل ان يدعّم في المستقبل لتخرج المؤتمرات الادبية تدريجيا عن قيود الاختيار الرسمي .

٢ ـ تحلّى الجوّ العام للمؤتمر بمناخ من حرية التعبير في البحوث والمناقشات لم يكن متاحا دائما في المؤتمرات السابقة .

٣ ـ كان عنصر الادباء الشباب اكثر توفرا في مؤتمر طرابلس منه في مؤتمرات الادباء العشرة التي سبقته . وقد اتيحت لهؤلاء الادباء الشبان فرصة جميلة لمناقشة الادباء « الشيوخ » ومحاورتهم بما يثبت ان النضج ليس حكرا على « الكبار » في السنّ والشهرة ..

٤ ـ كان عقد الملتقى الاول للقصة والرواية العربية ، الى جانب المؤتمر الحادي عشر للادباء ، خطوة موفقة تدلّ على اهتمام جديد لدى بعض المسؤولين عن اتحادات الادباء بتوسيع اطار المؤتمرات والندوات بحيث تشمل مختلف الفنون الادبية ، بالرغم من ان ندوة القصة والرواية هذه قد ظلمت بعض الظلم لمجيئها في اعقاب المؤتمر الحادي عشر الذي استأثر بنشاط المؤتمرين .

تبقى كلمة عاجلة عن مستوى البحوث والدراسات التي قدمت الى المؤتمر . والحق ان هذا المستوى متفاوت بين الجودة والوسطية والضحالة ، شأنه شأن جميع المؤتمرات الادبية السابقة . وهو في هذا انما يعكس الوضع الراهن للادب العربي الحديث ، ولا سيما على صعيد الدراسة والنقد . و « الآداب » حين تنشر في هذا العدد الخاص ، المادة كلها تقريبا التي قدّمت للمؤتمر ، مع ما استطعنا ان نحصل عليه من مناقشات الاعضاء ، انما تقدّم « وثيقة » اخرى للباحثين والدارسين ، والراصدين لتطور الادب العربي الحديث .

* * *

وبعد ، فان المؤتمر الحادي عشر للادباء العرب ، بالرغم مما سجّله من ايجابيات تجعله المؤتمر ـ المنعطف في مسيرة المؤتمرات الادبية التي يشرف عليها اتحاد الادباء العرب ، لا يعدو ان يكون ، كسابقه من المؤتمرات ، نشاطا رسميا تدعو اليه السلطة ، وتشارك فيه السلطات ، على وجه الاجمال ، بوفود رسمية يجري اختيار اعضائها وفقا لمقاييس واعتبارات معينة . ومن شأن هذا ، في نهاية المطاف ، ان يحدّ من حرية هذه الوفود التي تأتي وهي مزودة اجمالا بمواقف مسبقة وتوجيهات محددة ليست دائما في صالح الادب والفكر ، لانها غالبا ما تكون مرتبطة بالمواقف والتوجيهات السياسية المتقلبة المتذبذبة .

قصة المؤامرة ... على المؤتمر والانتخابات !

بذل الاستاذ يوسف السباعي ، الامين العام لاتحاد الادباء العرب ، كثيرا من الجهود للحيلولة دون انعقاد المؤتمر الحادي عشر للادباء العرب في طرابلس ، او لتأجيل موعد انعقاده .

وكان المكتب الدائم لاتحاد الادباء العرب قد قرر في دورة المؤتمر الاخيرة التي عقدت في الجزائر عام ٧٥ ، ان يلتئم هذا المؤتمر في طرابلس ، وان تعقد جلسة للمكتب الدائم ايضا في عاصمة الجماهيرية الليبية قبل المؤتمر . وحين تأسس اتحاد الادباء والكتاب الليبيين في تشرين الاول من العام الماضي كتب رئيسه الى الامين العام يدعوه الى عقد المكتب الدائم لوضع التنظيمات الخاصة بعقد المؤتمر ، فلم يرد على رسالته ، فسافر الى القاهرة حيث وافق الامين العام ، بعد تهرب وتسويف ، على عقد المكتب الدائم ، ولكن في القاهرة .. وحين ارسل اتحاد الادباء الليبيين مندوبيه لحضور المكتب الدائم في ٢٥ شباط ، لم يجدوا احدا من الحضور ، وفوجئوا بان الاجتماع تأجل الى ٢٥ آذار ، دون ان يبلغوا ذلك !. وفي ذلك الموعد الجديد ، تم اخيرا الاتفاق على موضوعات المؤتمر وزمانه ومكانه (٢٤ ايلول ، في طرابلس) كما تقرر ان تعقد جلسة تمهيدية للمكتب الدائم قبل ذلك بثلاثة اشهر (٤ حزيران) .واتخذ الاتحاد الليبي كامل الاستعدادات لهذه الجلسة التي حضرتها ستة وفود من الاتحادات فوجئت ببرقية من الامين العام يطلب تأجيل الاجتماع وعقد بديل عنه في ٢٥ حزيران .. وارسل رؤساء الوفود المجتمعون يستغربون ذلك ، كما ارسل اتحاد الادباء الليبيين برقية يستنكر فيها هذا التصرف .. وقد اعتبر الامين العام هذه البرقية شديدة اللهجة وجعلها المحور الرئيسي لاجتماع ٢٥ حزيران الذي اكد فيه المندوبون القرارات السابقة بعقد المؤتمر في زمانه ومكانه .. ولكن الامين العام عاد يعمل لتأجيل المؤتمر ، وادعى بعد ذلك انه تلقى من الاتحادات ما يرجح كفة التأجيل ، وهو لذلك يدعو الى اجتماع للمكتب الدائم يوم ١٩ تشرين الاول ، اي قبل موعد انعقاد المؤتمر بخمسة ايام ... وتتضح من ذلك النية التخريبية للمؤتمر ، اذ ان الاستعدادات كانت قد اتخذت وبدأت الوفود تصل الى طرابلس ، فيما ذهب ستة مندوبين الى اجتماع القاهرة الذي انعقد يوم ٢٠ تشرين الاول ، فدعت مصر والسودان الى تأجيل المؤتمر شهرين ، واقترحت سوريا والبحرين تأجيله الى اول تشرين الثاني ، ثم اتخذ قرار بتأخير البدء بالمؤتمر ، وتقديم ندوة القصة ومهرجان الشعر ، ولكن الاتحاد الليبي رفض هذا الاقتراح البديل ، وانعقد المؤتمر الذي حضرته في يومه الاول معظم الوفود ، ثم وصلت باقي الوفود في اثناء الانعقاد بفضل ما بذله خليفة التليسي الامين العام لاتحاد الكتاب الليبيين من جهود واتصالات ، ولم يتخلف الا الامين العام ووفدا مصر والسودان .. وقد ارسل رؤساء الوفود الامين العام يدعونه الى حضور المؤتمر وتقديم تقريره ، فتدارك نفسه وحضر قبل انتهاء المؤتمر بيومين ، وحضر معه وفد مصري من عضوين فقط !

ولم يهتم السباعي من كل اعمال المؤتمر الا بقضية تعديل النظام الاساسي حتى يرفض المادة التي تنص على ان مدة الامين العام هي سنتان غير قابلتين للتجديد (وقد جامله المندوبون باسقاط العبارة الاخيرة !) ودامت جلسة المكتب الدائم خمس ساعات انهكت الحاضرين حين طرح الامين العام ترشيح نفسه للامانة العامة (للمرة ... الله اعلم اية مرة هي !) ولاول مرة منذ تكوين اتحاد الادباء العرب « يجرأ » شخص آخر على ترشيح نفسه للامانة العامة، وكان هو رئيس الوفد العراقي شفيق الكمالي الذي كان ترشحه مفاجأة للجميع .. ومع ذلك فقد نال سبعة اصوات مقابل سبعة اصوات نالها السباعي .. والعجيب في الامر ان الامين العام ادعى ان له حق التصويت ، وهو ما يخالف النظام الاساسي للاتحاد مخالفة فاضحة ، لانه ينص على ان للاتحادات وحدها حق التصويت ، وليس للامين العام ، كما ان السباعي اصر على ان يكون للكويت صوت في الاقتراع ، بالرغم من ان الكويت ليس لديها اتحاد للادباء .. وقد شكك رؤساء الوفود الليبية والفلسطينية والمغربية بهذين الصوتين غير ان سائر رؤساء الوفود صمتوا وتفاضوا عن هذه التجاوزين حين رأوا ان موقف السباعي اصبح ضعيفا جدا في الاقتراع ... وحين اعيد الاقتراع مرة اخرى ، نال السباعي ثمانية اصوات ، والكمالي ستة . وهكذا انتخب السباعي امينا عاما .. دائما !

ولعل اعجب المواقف كان موقف اتحاد الكتاب اللبنانيين الذي كان يتميز بالسعي الى التسويات ، بحجة الابقاء على ما سمي بـ « الشرعية » تارة ، ورأب الصدع تارة اخرى .. كما لو ان تصرفات الامين العام للادباء العرب تصرفات « شرعية »، وكأنها تهدف الى الوفاق !

والحق ان معظم الوفود قد اذهلها موقف وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين لتعارضه الكامل مع مواقف الاتحاد السابقة في المؤتمرات العربية والاجنبية ، لا سيما وان معظم اعضاء الوفد الى هذا المؤتمر كانوا في عداد اعضاء الوفود الى المؤتمرات السابقة ! وقد ثبت ان رئيس الوفد اللبناني قد انحاز في التصويت الى جانب السباعي ، بدلا من ان يقف موقف الحياد في الانتخابات ليكون منسجما ـ على الاقل ـ مع روح التسويات التي كان يتحرك بايحائها !

ومهما يكن من امر ، فلا بد من تقرير حقيقة ساطعة : هي ان ذلك الانتخاب مطعون به وان من المؤسف ان يتغاضى المكتب الدائم عن ذلك .. وان الادباء ، في جميع ارجاء الوطن العربي ، ينتظرون ان يتصدى احد الاتحادات فيطالب باعادة الانتخاب من جديد !

وقد حمل المؤتمر الحادي عشر دليلا جديدا على ذلك في مواقف بعض الوفود التي ارادت ان تلتزم بخط حكوماتها ، حتى ان وفدا منها قد شهد انشقاقا بين رئيسه واعضائه، الرئيس الذي اراد ان يجامل ، والاعضاء الذين ارادوا ان يسيروا في خط التغيير والتطوير ..

ولعل مهمة الاتحادات ، في هذا المضمار ، ان تناضل حتى تتحرر من ضغط السلطات ، وتتمتع باستقلال كامل يمكنها من اتخاذ المواقف والقرارات بوحي من مصلحة الفكر والادب وحدها ..

ونحن نعرف انها ستعاني من ذلك المصاعب الكثيرة، ولكن ليس لها الخيار بين النضال والرضوخ ..

وفي انتظار ذلك ، ندعو ، مرة اخرى ، الى تكوين « الاتحاد الحر للادباء العرب » ..

سهيل ادريس